جامعة تكريت

كلية التربية للبنات /قسم اللغة العربية

التطبيقات اللغوية للمرحلة الرابعة أستاذ المادة : أ.م.د ميمونة عوني سليم

إيميل التدريسي : Dm_saleem@tu.edu.iq

المحاضرة الثانية : التكرار الصوتي

ومن الخصائص الصوتية التي تكسب الألفاظ بُعداً إيقاعياً، خاصية(التكرار الصوتي) التي يعمد إليها الشعراء للتعبير عن قدراتهم في إحداث أصواتٍ تتكرر بين ثنيات أبياتهم؛ لتولّد جناساً صوتياً وبناءً موسيقياً متنوعاً ليكسب النصّ مزية سمعية وأخرى فكرية، فالأولى ترجع إلى موسيقاه والأخرى ترجع إلى معناه، والتكرار الصوتي إمّا أن يكون من خلال تكرار حروفٍ بعينها في الألفاظ المؤلفة للبيت الشعري كلاً على حدة، فيحدث تكرارها أصواتاً وإيقاعات موسيقية معينة، أو أن يكون بتكرار كلماتٍ يتخيّرها الشاعر تخيّراً موسيقياً خاصاً، فيكررها في الجملة أو النصّ، لتؤدي إلى جانب دورها في بناء الصورة الشعرية، إلى توليد إيقاعٍ موسيقي خاص لكلّ بيت على حدة، وهذا النوع من التكرار إنَّما نجده غالباً في الفنون البديعية اللفظية، القائمة على التماثل الصوتي الذي يحقق أبعاداً إيقاعية، وتوازناً نغمياً يُلجَأ إليه لجذب المستمعين على الإنصات لتحقيق الغاية في التأثير، ويعدّ التكرار الصوتي في مجمله صورة من صور التناسق الجمالي بين الظواهر الموسيقية التي تُضفي على النصّ نوعاً من الإيقاع والانسجام الصوتي في تكرار الوحدات الجزئية المكوّنة للكلّ، أو تكرار اللفظة في سياق النصّ، فهو((تناوب أو إعادة لصيغٍ لغوية بعينها في سياق التعبير، يتقصّده الشاعر، لإضفاء ألوان من التناسق النغمي الآسر لمسامع المتلقِّين)) ، شريطة أن يكون هذا التكرار موافقاً للذوق ومؤدياً إلى الغرض الذي يبغيه المبدع في تأديته المعنى وتقويته من جهة، وتكوين إيقاعاتٍ صوتية داخلية وخارجية مؤثرة في السامع من جهةٍ أخرى؛ إذ ليس التكرار مجرد صنعة يتقصَّدها الشاعر لإحداث إيقاعاتٍ معينة، دون أن تكون له فائدة في رفد المعنى وتقويته بأفكارٍ وأحاسيسَ جديدة، فمتى كان الإيقاع الصوتي مُشكلاً من نغمٍ موسيقي غير متكلّف ومُقتصد، وقد تطلّبه المعنى ودعت إليه ضرورة الفن كان تأثير حُسنه أشدَّ وطأةً في نفس السامع وحسّه، أمَّا إذا كثر التكرار من غير مسوّغٍ لضرورةٍ فنّية استدعته، أو أصبح هدفاً لذاته من دون أن يتطلّبه المعنى، وعُمِدَ إليه عمداً قصد التزويق والتنميق والزخرفة الصوتية، فإنَّ ذلك ما يؤول إلى أن تكون عليه كلفة بادية، وتصنّعٌ لا تتقبله النفس؛ لما تشكِّله إيقاعاته من ثقلٍ منافٍ للحسّ، ثقيلٍ على السمع وقد خوت من إفادة المعنى،وعند ذاك يكون باعثاً وسبباً للنفرة والصدود، حتى يخرج به الكلام عن حدِّ الفصاحة.

ومن القيم الموسيقية التي يُراد بها إحداث نسقٍ نغمي وإيقاعٍ صوتي داخل البيت الشعري(الترصيع)، وهو عند ابن قدامة بن جعفر من نعوت الوزن وضربٌ من ضروب السجع، وقد عرَّفه بقوله:((هو أن يتوخّى في تصيير مقاطع أجزاء البيت على سجعٍ أو شبيه بهِ، أو من جنسٍ واحد من التصريف)) ، والغاية منه إحداث إيقاعٍ متواتر بين فواصله وتناغمٍ يحقق توازناً صوتياً بين

الكلمات، وتوافقاً أو تقارباً بين أعجازها، فيولّد نوعاً من الاعتدال بين مقاطع الكلام؛ ليكون على وفق صيغةٍ متوافقة وانسجامٍ وتلاؤمٍ تتحقق به حلاوة التنغيم وجمال الإيقاع، الذي يجعل النفوس إليه أميَل والآذان إلى سماعه أنشَط.

ولعلَّ من المفيد أن نذكر أنَّ الشعراء قد حاولوا استثمار كل ما من شأنه إضفاء قيمة إيقاعية على نظمهم، وقد تفننوا في توظيف الفنون البلاغية؛ لتكوين تنغيمات وأصواتٍ منسجمة داخل النصّ الشعري، كـ(التصدير) أو ما سُمي بـ(ردّ العجز على الصدر) القائم على جعل إحدى اللفظتين المكررتين أو المتجانستين أو ما يلحق بهما في آخر البيت، والآخر إمّا في صدر المصراع الأول أو في حشوه أو في آخره، أو(التسميط) الذي يقوم به الشاعر بجعل بيته على أربعة أقسام، ثلاثة منها على سجع واحد على خلاف قافية البيت، أو(التطريز) وهو أن يشتمل الشعر على ثلاثة أسماء مختلفة المعاني ، ويكون العجز صفةً متكررةً بلفظٍ واحد، وما ذاك إلا طلبٌ للتنغيم والإيقاع، حتى بات عمل الشاعر عملاً واعياً منظّماً بقدر تمسّكه بشروط ما يُستحسن في استعمالها؛ ليعبر عن مقدرة في صياغة القوالب الشعرية من خلال حسن التخير وجمال التهذيب والصقل، بمنأى عن الإسراف والزخرفة والتكلُّف والتصنُّع الذي يصنع به جوهر العمل ويفقد به النصّ سِمة التأثير.